الهلال

الجزء الخامس من السنة الاولى

اول يناير سنة ١٨٩٣ (١٢ جمادى الثانية سنة ١٣١٠) (٢٤ كيهك سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



الامير عبد القادر الجزائري

« ملخصة من تاريخ سوريا سنة ١٨٦٠ (لم يطبع) تأليف صديقنا الفاضل نعمان افندي قساطلي »

هو الامير عبد القادر ناصر الدين ابن الامير محيي الدين الحسيني يتصل نسبهُ بالامام الحسين (رضه) ولد في شهر مايو ، ايار) سنة ١٨٠٧ في قرية القيطنة التابعة لايالة وهران في جزائر الغرب وكان والده من اكابر العلماء العاملين محترمًا

لدى اعيان الجزائر لبسط يده وكرم اخلاقه ودعته

وقد بذل قصارى جهده في تثقيفه لما آنس فيه من الذكاء والدراية حتى انه تمكن بمدة قصيرة من اكتساب جانب عظيم من العلم وحفظ القرآن الشريف حفظاً جيداً . واشتهر في السابعة عشرة من عمره بشدة الباس وقوة البدن والفروسة حتى كان يشار اليه بالبنان بين الفرسان لمهارته في ركوب الخيل والتلاعب على ظهورها وكان يطارد الخنزير البري في الغابات ويصطاده . على ان كل ذلك لم يشغله عن القيام بواجباته الدينية

وفي نوفمبر سنة ١٨٢٥ صحب والده الى الحرمين لاداء فريضة الحج فمرّا بحاشيتهما بالاسكندرية وزارا القاهرة وفيها المغفور له محمد علي باشا فاكرمهما . ومن القاهرة قصداً الحجاز عن طريق السويس وعرجا بعد الحج نحو دمشق قضيا فيها زمناً وسارا منها الى بغداد لزيارة مقام سيدي عبد القادر الكيلاني فنالا كل رعاية واكرام . ثم عادا من هناك الى الحرمين ثانية ومنها الى وطنهما فوصلاه في اوائل سنة ١٨٢٨

ولم يزدد عبد القادر بعد هذا السفر الاّ شغفاً في العلم فاعتزل لتحصيله ولازم الخلوة يطالع كتب العلم والفلسفة فدرس رسائل افلاطون وفيثاغورس وارسطاطاليس وتعمق في درس الفقه والحديث والجغرافية والفلك والتاريخ وكتب العقاقير وجمع مكتبة من اثمن مكاتب تلك الايام

وفي سنة ١٨٣٠ استولى الفرنساويون على الجزائر ونشروا المنشورات الرسمية بامتلاك البلاد واستخراجها من ايدي العثمانيين فشق ذلك على القبائل العربية القاطنة في تلك الانحاء وانتفضوا على الفرنساويين . وكان الفرنساويون تحت قيادة الجنرال برمونت وقد بلغوا جبل الاطلس فاضطروا للتقهقر الى الشطوط واخذوا في تحصينها ثم عادوا فاستولوا على مدينة وهران

وتسبب عن تداخل الفرنساويين وخروج جانب من تلك البلاد من حوزة الدولة العلية اختلال في الاحوال وسادت الفوضى فاجتمع المرابطون ورؤساء القبائل وفي جملتهم الامير محيي الدين والد صاحب الترجمة وتشاوروا في الامر فقرّ رأيهم على الانضمام الى سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن فبعثوا اليه بذلك فوافقهم فدخلت

الجزائر في سلطانه وخطب الجزائريون له. وبايعوه فغضب الفرنساويون و بعثوا الى مولاي عبد الرحمن يتهددونه بالحرب او بسحب جنوده من الجزائر فنفضل الانسحاب فاجتمع كبار اهل الجزائر وتفاوضوا في امرهم فقر رأيهم على ان يقيموا عليهم الامير محيي الدين سلطاناً يرجعون اليه فذهبوا الى القيطنه (بلدته) وطلبوا اليه قبول اقتراحهم وارادوا مبايعته فامسك عن الاجابة فاصروا عليه وتهددوه بالقتل اذا تمنع فاجابهم على ان تكون تلك السلطة لولده عبد القادر فقبلوا وكان عبد القادر يحارب الفرنساويين في مكان يقال له حصن فيليب فبعثوا اليه و بايعوه وسنه اذ ذاك ٢٥ سنة فذهب الى الجامع وصلى وحثّ الناس على الطاعة والسير بمقتضى الشرع الشريف والاقتداء بالخلفاء الراشدين (رضه) . واول شيء باشره جمع كلمة القبائل وضمها بعضها الى بعض حتى يقووا على مقاومة العدو الاجنبي واخراجه من بلادهم . وحارب بهم عدة مواقع فاز في بعضها ولا سيما في موقعة وهران فانه انتصر فيها انتصاراً مبيناً وكانت الجنود الفرنساوية تحت قيادة الجنرال ميشيل فصار يهابه الفرنساويون ويخشون بطشه

وكانت فرنسا على رغبتها في التفرد بسلطتها في الجزائر لا تحب المخاطرة بحملة كبيرة من جندها لقهر عبد القادر فاوعزت الى الجنرال ميشيل ان يعقد معه معاهدة صلح فخابره بذلك وتمت المعاهدة سنة ١٨٣٤

ولما هدأت الاحوال تفرغ عبد القادر لاصلاح شؤون داخلية بلاده واعداد المعدَّات الحربية لاعتقاده ان الحرب لا بدَّ من العود اليها فانشأ معامل لعمل الاسلحة وصب المدافع واصطناع البارود ونظم الجند . فاضطرَّ من اجل كل ذلك للنفقات الطائلة فطالب القبائل بالزكاة عن المواشي فانتقض عليه بعضهم ولكنه تمكن بحسن درايته من اخضاعهم ولم شعثهم فاتسعت سلطته وامتدَّ نفوذه فشق ذلك على الجنرال دي اورلين القائد الفرنساوي اذ ذاك فبعث اليه ان يلازم حدوده ولا يمد يده الى خارج وهران فاجابه ان دائرة سلطانه غير محدودة بمقتضى المعاهدة المارّ ذكرها . فدارت المداولة بين الفريقين بالمسالمة ولكن مطالب عبد القادر لم تحز قبولاً لدى الفرنساويين فاضمر لهم الشر وامر بعض القبائل المقيمة بجوار وهران ان تنزح الى داخل البلاد فخاف هؤلاء بطش الفرنساوية

وطلبوا حمايتهم فطلب الامير الى الفرنساويين ان لايحموهم فاستاؤوا واشهروا عليه القتال وساروا في خمسة آلاف ماشٍ وعدة من الفرنسان وبعض المدافع ولكنهم رأوا من رجاله ما اضطرهم الى الانسحاب حالاً فعلم الامير بجهة انسحابهم فسار للاقائهم في مضيق وهم لا يعلمون فلما بلغوا المضيق هجم عليهم برجاله فابلوا فيهم ولم يبقوا الاّ على نفر منهم

وكان لهذه الغلبة رنة في باريس وقام الخطباء يحثون الحكومة على ارسال القوات اللازمة لقتال ذلك الامير البدوي وقهره وكان عبد القادر يعرف كل ما يدور في باريس من هذا القبيل لانه كان يطلع على الجرائد الفرنساوية بواسطة تراجمة يحسنون فهمها فكان على بينة من مقاصد عدوّه

وفي نوفمبر سنة ١٨٣٥ قدمت الجنود الفرنساوية الى وهران لمحاربته فقاتلهم ولكنه لم يفز فتفرّق رجاله فعاد الى عاصمته (مسكرا) ونزل في بلد على مقربة منها وهو في حالة اليأس الشديد خوفًا من نهوض الفرنساويين عليه وكانوا معسكرين في مسكرا فاصبح يومًا وقد اخلوها لغير سبب يعلمه فعاد هو اليها ونزلها فعاد اليه رجاله واشتد ازره واخذ في مقاصة الذين عصوه

اما الفرنساويون فاحتلوا تلمسان فلاقاهم اهلها بالترحاب ولكنهم ضربوا على يهودها ضريبة كبيرة اعتذروا عن دفعها فاجبروهم فندم هؤلاء على التسليم وصاروا يودون العود الى عبد القادر وكان ذلك مما شدد عزم الامير فجاء وطارد الفرنساويين واخرجهم من تلمسان

فغضب الفرنساويون في باريس فبعثوا بالنجدات القوية فحاربها عبد القادر مرارًا ولكنه انكسر في واقعة منها انكسارًا رديئًا انتقض من اجله العرب عليه وفي جملة المنتقضين قاضٍ يقال له سيدي ابراهيم وكان في نيته خلع عبد القادر والاستيلاء مكانه فحمي غضب الامير لتلك الخيانة فجرّد سيفه وعلقه بسرج جواده وركب واقسم انه لا يغمد ذلك السيف حتى يقطع رأس ذلك الخائن . فلما بلغ منزله امر باحضاره فاحضروه وهو يرتعش فضربه ضربة قطعت رأسه فكان لذلك وقع عظيم في قلوب رجال عبد القادر فاحترموا اليه واستهانوا الموت في سبيله فحمل بهم على مواقع الفرنساويين وضايقهم مضايقة عظيمة حتى قلت المؤن

لديهم وقلت الذخائر لديه

فدارت المخابرة بين الفريقين في ان يتبادلوا التجارة فيبتاع كل من الفريقين ما يحتاج اليه وتمّ الاتفاق على ذلك وهدأت الاحوال

وبعد ذلك بيسير قدم الجنرال بوجيد من جانب حكومة فرنسا الى وهران يستفث الجند الفرنساوي على القتال حتى يبيد الامير ورجالة او يقبل بهذه الشروط وهي

(١) اعتراف عبد القادر بسيادة فرنسا

(٢) تحديد مملكته الى نهر الخليف

(٣) اداؤهُ الجزية لفرنسا

فعظمت هذه المطالب على عبد القادر واجاب انهُ لا يحق لفرنسا ان تشترط هذه الشروط وهي ليست المنتصرة في مواقع الحرب معهُ وتهددها فشق ذلك على الفرنساويين ولكنهم فضلوا الصلح على الحرب لعلمهم ان عدوّهم عنيد باسل

وبعد المخابرات والاخذ والرد رأى بوجيد ان الحرب اولى له لانهُ لم يستطع التوصل الى وفاق موافق لدولته فعرض عساكره فاذا هم لا يستطيعون مناواة عدوّهم فاستأنف المخابرة بشأن الصلح وطال الجدال بشأنهِ حتى تم القرار عليهِ في ٣٠ ايار سنة ١٨٣٧ فعقدت المعاهدة المعروفة بمعاهدة التافنا وفي جملة بنودها ان لا يسلم الامير شيئاً من شواطىء بلاده لدولة اجنبية الاَّ بعد مشورة فرنسا وان يكون لكل من الامير وفرنسا قناصل في بلاد الآخر

ولما ارتاح الامير من قبيل المعاهدة وجه انتباهه لاصلاح الداخلية وتنظيم مملكتهِ والاستعداد للحرب لانهُ علم لحسن فراستهِ ان الحرب لا بد من استئنافها فعصاه بعض القبائل فاخضعهم بالسيف وحسن الدراية وكان الفرنساويون ينصرونهُ عند الحاجة وفي جملة القبائل التي اقلقت راحتهُ بعصيانها قبيلة ارازق ولكنهُ ما انفك حتى اذلها وادخلها تحت لوائهِ

ثم ابتنى مدينة دعاها تقدمة وجعلها مركزاً تجارياً وانشأ كثيراً من المعاقل ونظم جيشاً على النمط الافرنجي الحديث تحت قيادة قواد اوروبيين وانشأ معامل للمدافع والاسلحة في تلمسان وغيرها واستخرج المعادن ونشط الصناعة والزراعة

والتجارة واخذ بناصر العلم فافتتح المدارس حتى في الاحياء الصغيرة وكان في عزمه انشاء مدرسة جامعة في تقدمة تجمع بين العلوم الدينية الاسلامية والعلوم الحديثة. وضرب نقودًا فضية ونحاسية نقش على احد وجهيها «هذه مدينة الله وعليه توكلت» وعلى الوجه الآخر «ضرب في تقدمة السلطان عبد القادر» وكان شديد السهر والتيقظ على مصالح بلاده حتى كان يتفقدها بنفسه

ولكن الاقدار لم تسمح باستمرار الامن لان الفرنساويين بعد ان استولوا على قسطنطينة ارادوا مدّ سلطتهم على البلاد الواقعة بجوارها وكانت في حوزة الامير فعارضهم بدعوى ان معاهدة التافنا تقضي له بها فأصروا على عزمهم وأنكروا عليه الامر بتحريف كلمة من كلمات المعاهدة فاستأنف امره الى باريس فلم تنصفه الحكومة الفرنساوية فاخذ على نفسه الدفاع بالقوة وحصن الاماكن التي عليها الخلاف وبعث الى قائد الحملة الفرنساوية والى الموسيو تييرس وزير فرنسا الشهير اذ ذاك ينذرهم بأن الاصرار على طلبهم لا يفيدهم الا سفك الدماء فلم يعبأوا بتهديده ولكنهم قوّوا جندهم واخذوا يتظاهرون بالتأهب للحرب ظناً منهم انه يخاف عددهم وعددهم فيذعن بدون حرب وكان الامر بالعكس فانه ثبت على عزمه حتى انتشبت الحرب وتقهقر الفرنساويون الى الشطوط

فعظم الامر على الحكومة الفرنساوية وبعثت بالنجدات القوية فاشتد أزر الفرنساويين وقاتلوا الامير بجوار جبال الاطلس وتغلبوا عليه وكان جنده على النظام الافرنجي فعدل عنه الى النظام القديم فقوي على اعدائه وأعادهم على اعقابهم وكان يفوز عليهم في كل موقعة ودامت تلك المواقع مدة ست سنوات. فتعبت فرنسا منه وهو لم يتعب فأبدلت قائد الحملة وبعثت القائد القديم الجنرال بوجيد ومعه الجيوش المجيشة ولكنه لم يثبت امام ذلك البطل المغوار

ولما رأى الامير ان البلاد اصبحت برمتها ميدانًا للحرب ابتنى مدينة نقالة دعاها الزمالة يلجأ اليها المنهزمون بنسائهم واولادهم ويقيم فيها الصناع والعمال والخفر فحيثما انتقل الجند انتقلت تلك المدينة معهم وهي مؤلفة من خيم جعلها على نظام فاذا نقلت من مكان الى آخر يعرف كل مكان خيمته وامر رجاله ان لا يقتلوا اسيرًا واجاز من يأتي بالاسير حيا

وعلم الفرنساويون بالزملة وبما لها من المنفعة للامير ورجاله فاهتدوا اليها بخيانة بعضهم وهاجموها فاحرقوا وقتلوا ونهبوا ولم يبقوا عليها وكانوا قبل ذلك بقليل قد احرقوا تقدمة المدينة التي ابتناها الامير لنفسه

وكان الامير في احراش سيرسو فبلغه خبر حرق الزملة وتقدمة فتكدر كدرًا لا مزيد عليه لعلمه ان ذلك يقلل من نفوذه ويقود رجاله الى الفشل ولكنه اظهر الجلد وقال لمن حوله «لا تخافوا ولا تحزنوا لان اخواننا الذين قتلوا قد مضوا الى النعيم » ثم نهض وجدد قوته والف زملة جديدة واستنجد حكومة انكلترا فلم تنجده ثم استنصر سلطان مراكش فلم ينصره فاضطر لان يقوم باعماله بنفسه وهو ثابت العزم لا يثنيه شيء ولا يخيفه امر

ولكن فرنسا انجدت جندها واغرت سلطان مراكش على معاضدتها فاشتد الامر على الامير ووقع في وهدة اليأس حتى حدثته نفسه بنشر راية الجهاد والمسير برجاله الى مكة المكرمة تاركًا البلاد خرابًا لمحتليها وفيما هو يفكر في ذلك جاءته نجدات عديدة من بعض القبائل فاشتد عزمه وعاد الى الحرب حتى اصبحت الجزائر بجملتها ميدانًا للقتال وما زالت الحال كذلك الى نهاية سنة ١٨٤٦ فملّ العربان وانحاز جانب منهم الى سلطان مراكش فاغتنم الفرنساويون تلك الفرصة واثاروا المراكشيين وانهضوهم على الامير وقتاله فبعثوا اليه جيوشًا حاربته في اماكن مختلفة وكان الامير يقاتل بالامر الممكن لا تثنيه كثرة اعدائه ولا شدتهم ولكنه استاء من خيانة سلطان مراكش فبعث اليه يذكره بالصداقة القديمة فاجابه اما ان يسلم نفسه او ان يرحل الى براري الجزائر فكظم الامير على نفسه وفضل الاعتزال عن الناس على التسليم فاقام على الصلاة وتلاوة القرآن الشريف

وفي اواخر سنة ١٨٤٧ علم بقدوم المراكشيين لغزو زملته ولم يكن فيها اكثر من خمسة آلاف اما المراكشيون فكانوا يزيدون على الخمسين الفًا فخاف الامير على رجاله وان يكن لم يعرف الخوف قبلاً

« سنأتي البقية »



جورج وشنطون

محرّر اميركا

هو من نوابغ القرن الثامن عشر ومن أعظم رجال الحرّية ومقدامهم في الازمنة الاخيرة ولد في ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٣٢ في قرية من قرى اميركا الشمالية في ولاية فرجينيا من عائلة معروفة وتثقف على قدر ما سمحت احوال تلك الايام من العلم والمعرفة ولكنهُ كان ذا ذكاء وفطنة طبيعيتين فنبغ بين اقرانهِ وكان ينمو نموًّا سريعًا جسماً وعقلاً ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمرهِ حتى كتب لنفسهِ كتابًا جمع

فيه مائة وعشر قضايا في حسن السلوك وكان قد تعلم اللغة الانكليزية ثم عكف على درس اللغة الفرنساوية ولكنه لم يستطع درسها كما يجب . ومال من صغره الى الاعمال الشاقة فكان محبًّا لركوب الخيل والتجول ثم تعين مباشرًا لبقعة صغيرة من مقاطعة فرجينيا وكان يضطر لتلك المهمة ان يخاطر بنفسه ويقضي اسابيع عديدة في الاحراش عرضة لقاطعي الطرق من هنود اميركا ولكنه كان محبوبًا من جميع اهل تلك الجهة وكان كل يوم يزداد اعتبارًا ووقارًا في قلوبهم

واتفق في أثناء ذلك انتشاب الحرب بين الانكليز والفرنساويين بسبب الاختلاف على الحدود بين مستعمراتهما في اميركا الشمالية وتعين جورج وشنطون في تلك الاعدادات الحربية قائدًا على مقاطعة من مقاطعات فرجينيا مع رتبة بكباشي ثم اضطر لمرض اخيه ان يعود به ويعتزل عن الاشغال مراعاة لصحته

وفي سنة ١٧٥٢ توفي اخوه فورث منه تركة كبيرة وازداد عظمة في عيني نفسه وشعر باستقلاله وجاء الزمن لاظهار مواهبه فتعين في سنة ١٧٥٣ معاونًا لمقاطعة فرجينيا كلها وسار بمهمة خطرة جدًّا لمخابرة الفرنسويين ولم يستطع سواه ان يقوم بها وبعد ان قاسى في طريقه الى معسكرهم من الاخطار شيئًا كثيرًا ولم يكن معه الاَّ بعض الجند وصل المعسكر فقوبل بالترحاب ولكنه اغتنم فرصة اشتغال قائد الفرنساويين بكتابة الجواب ورسم في ذاكرته هيئة المعسكر وكل خفاياهُ من الحصون والخطوط وقدر قوَّة العدو

وكان مضمون الرسالة طلب انسحاب الفرنساويين وكان الجواب انهم لايستطيعون الانسحاب فعاد وشنطون وبلغ الرسالة واطلع حكمدار فرجينيا على خفايا معسكر الفرنساويين وقواتهم وحصونهم فاعادهُ اليهم في جند لاخراجهم وسنه الى ذلك الزمن لم يتجاوز الثانية والعشرين

فسار وشنطون بقلب لايهاب الموت واظهر في هذه التجربة الصغيرة من البسالة والدراية والاقدام ما شهد له به رجاله على انه لم يستطع اخراج الفرنساويين فعاد متقهقرًا مع المحافظة على شرفه وشرف دولته

وجرى بعد ذلك عدة مواقع بين الانكليز والفرنساويين اظهر فيها وشنطون اهلية وبسالة ترقى بها الى رتبة اميرالاي . وانتهت تلك الحرب سنة ١٧٥٩

فاعتزل وشنطون عن الاعمال الحربية وقد تعلم فيها ما لم يكن يعلمهُ وتزوّج بارملة كان قد احبها واسمها مدام كوستيس كانت مشهورة بالتعقل والتقوى وحسن التدبير ولجأ الى مسكن عائلتهِ القديم في جبل فرنون وانقطع الى الزراعة ولم يكن نشاطه فيها اقل من نشاطهِ في الاعمال الحربية · وكان من القضايا المتبعة عندهُ قولهُ « اذا اردت انجاز عمل فاعملهُ انت بنفسك » فكان يقضي نهارهُ عاملاً بين غرس وحصاد وخيولهِ وصيد

ثم انتدبتهُ الحكومة ليسير الى ولاية اوهيو لقضاء مهمة مدنية وكان حكمدار ولاية فرجينيا قد أُبدل بآخر اسمهُ لورد دنمور واتفق ان مجلس اعيان بورجيس اقام الحجة على الحكومة لامر فامر اللورد دنمور بحلّهِ فاغضب ذلك جماعة الاعيان فكاتبوا نواب الولايات المتحدة الاخرى للاجتماع والمفاوضة في امر معاملة الحكومة الانكليزية لهم فاجتمعوا اجتماعاً عمومياً في فيلادلفيا في ٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤ ثم اجتماعاً آخر في ١٠ مايو سنة ١٧٧٥ حضرهُ وشنطون وكتبوا الى حكومةِ انكلترا وشعبها بشأن علاقة المستعمرات الاميركية ببريطانيا واصروا على المدافعة عن حقوقهم واختاروا جورج وشنطون رئيساً لاجتماعاتهم. وقد صمموا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم

ومما كتبهُ وشنطون بهذا الشأن لصديق لهُ قولهُ « يسوءُني ان نجرّد سيوفنا على اخواننا وان اصقاع اميركا بعد ان كانت مرتع الراحة والسكينة تصير إِما الى مجاري الدماء واما الى الاستعباد »

وجنّد الاميركان جنودهم واقاموا وشنطون قائداً عاماً في ٣ يوليو سنة ١٧٧٥ لما علموا من بسالتهِ واقدامهِ وعلو همتهِ ودرايتهِ وهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ

فسار بجندهِ الى نيويورك فكمبردج وغيرها وكان حيثما حلّ تقام لهُ الاحتفالات والاميركان قائمون على ساق وقدم طلباً للاستقلال · وسارت الحملة الاولى لضرب بوستون وكان الاميركان في قلة من المؤن والذخائر والرجال ولولا حكمة وشنطون وكتمانهُ ضعف جندهِ لذهبت آمال الاميركان عبثاً وحبطت مساعيهم ولكنهُ تصرّف تصرّف الابطال وصبر صبر الرجال حتى لمّ شعث رجالهِ واستعد لملاقاة عدوّهِ

وفي ٤ مارث سنة ١٧٧٦ هجم وشنطون على حصون بوسطون وهددها باطلاق النار اذا لم تسلم وبعد المخابرات سلمت الحصون وانسحب الانكليز وعادت عمارتهم ودخل وشنطون المدينة ظافرًا فوردت عليهِ رسائل التهنئة من سائر انحاء الولايات المتحدة لما أُوتيهِ من النصر المبين مع ما كان فيهِ من صعوبة المركز وقلة الجند بالنسبة للانكليز

وسار وشنطون بعد ذلك الى فيلادلفيا واجتمع بمجلس الامة وتفاوضوا في طريقة يتوصلون بها الى اصلاح ذات البين بينهم وبين انكلترا رعاية لسلطانها وبطشها فقال وشنطون « اننا لا نستطيع القيام بمطالب انكلترا وليس لنا أمل بعقد الصلح معها فاماً ان نجمع كلمتنا وندافع عن وطننا الى آخر نسمة من حياتنا واما ان نضع اعناقنا تحت اقدام الانكليز ونقول على الحرية واهليها السلام » فوافقهُ المجلس على رأيهِ وتأهبوا للدفاع.

وكان الانكليز قد قدموا بعماراتهم لضرب مدينة نيويورك فسار وشنطون بما لديهِ من الجند لدفاعهم ولم يكن هذه المرة واثقاً بالنصر لقلة رجالهِ. ومما كتبهُ الى اخيهِ من نيويورك قولهُ « اننا نتوقع قضاء صيف دموي في نيويورك وكندا ولا أرانا اهلاً للصبر على ذلك بما لدينا من العدة والرجال ولكننا نرجو بحسن نيتنا وصدق دعوتنا ان العناية الالهية التي كانت لنا عضدًا في حروبنا الماضية ستكون معنا في هذه ايضاً »

وامتنعت نيويورك على دوارع الانكليز مدة اجتمع مجلس الامة الاميركية اثناءها وقرر التصريح باستقلال الولايات المتحدة في ٤ يوليو (تموز) سنة ١٧٧٦

فاعتبرت انكلترا اهل الولايات المتحدة عصاة وصرحت بذلك فاستمرت حربها معهم حربًا تأديبية وجرت بينها وبينهم مواقع كثيرة كان النصر تارة لهؤلاء وطورًا لهؤلاء ودامت تلك الحروب ثماني سنوات انتهت بعقد المعاهدة الاخيرة في باريس في ١٩ ابريل سنة ١٧٨٣ وانسحبت الجنود الانكليزية من الولايات المتحدة واستقلت تلك البلاد استقلالاً تاماً

ولما انتهت المواقع الحربية وانعقدت المعاهدة ودع وشنطون اصدقاءهُ ورفقاءهُ في تلك الحروب واعتزل الى منزلهِ في جبل فرنون وعاد الى الاشتغال

بالزراعة والعمل في الحقول ولكن منزلهُ لم يكن يخلو من الزائرين من انحاء اميركا واوربا ليشاهدوا ذلك الرجل العظيم الذي قاد جنود اميركا في طلب استقلالهم . وكان يقضي جانبًا من وقتهِ في مراسلة اصدقائهِ ولم يكن شيءٌ اشهى لديهِ من البقاء على تلك المعيشة ولكن الاميركيين اجتمعوا لانتخاب رئيس لجمهوريتهم الجديدة في افريل سنة ١٧٨٩ فوقع انتخابهم بالاجماع على جورج وشنطون قائد جنودهم ومحرر ولاياتهم ومع شدة رغبتهِ في الخلوة لم يسعهُ الاَّ الانصياع الى طلب ابناء وطنهِ ليعود الى خدمتهم مرة ثانية وهو اول رئيس لجمهورية اميركا

ولكنهُ لم يكد يستقر في ذلك المنصب حتى أُصيب بداء شديد وحالما تعافى عاد فاهتم في تنظيم الجمهورية فاسس لها طرقًا تسير عليها وكان كل سنة يطلب الانسحاب والعود الى حقلهِ ولم يتمكن حتى كانت سنة ١٧٩٦ فاصرَّ على الانسحاب ولكنهُ لم يكد يستريح حتى عادوا فانتخبوهُ واستدعوهُ للرئاسة بداعي بعض المشاكل السياسية التي لم يكونوا يستطيعون حلها بدونهِ فعاد ثانية

وفي ١٨ دسمبر سنة ١٧٩٩ توفي جورج وشنطون اثر داء عياء ولم يترك نسلاً . ومما يحسن ذكره انهُ كان معاصرًا لقائد فرنسا العظيم النابوليون بونابرت فاكرم بهما من قائدين عظيمين يفتخر بهما القرن الثامن عشر

وكان وشنطون مثالاً للهمة والنشاط والتعقل والاخلاص كما يفهم مما تقدم وكان كثير التقوى شديد الاعتماد على الله كثير المحافظة على الوقت ولا يزال الاميركيون يبكونهُ حتى الآن وعلى مثلهِ يحق البكاء فانهُ قد حرر بلاده وبذل نفسهُ من اجل ابناء وطنهِ رحمهُ الله

تنبيه - قد الجأتنا كثرة الرسائل في هذا العدد الى اغفال باب المقالات فنرجو من حضرات القراء عذرًا وموعدنا ان نعوض عليهم ذلك في العدد التالي ان شاء الله تعالى

باب المراسلات

امتهان السيدات واستبدادهن

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

قد اطلعت على جوابكم المعنون « الزواج بالمراسلة » المندرج في العدد الرابع من مجلتكم الغراء فاذا بكم قد نطقتم بلسان المشارقة كافة وشرحتم حقيقة ارائهم واستوجبتم شكرهم وثناءهم

وقد أذكرني قولكم « بتنا بالامس نشكو امتهان السيدات الخ » مسألة طالما خامرت ذاكرتي وكثيراً ما ترددت في فهم حقيقتها وهي اننا من جهة نشكو امتهان السيدات وطلب الدوطات ومن جهة اخرى نشكو استبدادهنّ وتقدمهنّ على الرجال في المعاملات والمعاشرات والاجتماعات فاذا مشت مشى الى يسارها واذا دخلا دخلت امامه واذا جلسا كانت الجالسة اولاً واذا تكلما تقدمته بالقول والرأي الى غير ذلك مما اكتسبناه من عوائد الافرنج . ولم اكن اهتدي الى طريقة اعلل بها هذا التناقض فأتيتكم راجياً ابداء رأيكم في كيف نشكو احتقارهنّ واستبدادهنّ في وقت واحد ولكم الفضل القاهرة (ر . ن .)

(الهلال) المرأة بالطبع اضعف من الرجل مضطرة للخضوع له . وقد جاء في الكتب المنزلة ان الرجل رأس المرأة وان للذكر مثل حظ الانثيين وقد اتفق الانبياء كافة بوجوب خضوعها له وائتمارها بامره ولكنهم حكموا على الرجل بحبها واكرامها مراعاة لضعفها كان يكون ذلك من قبيل الشفقة عليها

والعوائد المشرقية وخصوصاً العربية كانت جارية على مقتضى ذلك بالفطرة ولما كان الرجل اقوى من المرأة وله عليها الافضلية شرعاً وطبعاً كان له اولوية الاختيار في امر الزواج فهو الذي يطلب الاقتران وينتقي الفتاة التي تحسن في عينيه فيخطبها من والديها ولم يكن للفتاة شيء من ذلك ولكن الوالدين كانوا مخيرين في قبول ذلك الطالب اما من تلقاء انفسهم او بمشورة ابنتهم

ولما كان الرجل لا ينتقي لنفسه الاَّ ما يكون موافقاً له وهو في الغالب لا يطلب الاَّ من يتراءى له انها افضل من سائر ابناء صفها مع مراعاة النسبة بينهُ وبينها كان مطالبًا بارضائها وارضاء والديها فنتج عن ذلك ان يتوخى الشاب كل ما من شأنهِ ان يقربهُ من رضاء التي ارادها قرينة له وذلك طبيعي جارٍ في سائر انواع الحيوان من ادناها الى اعلاها فان الذكر فيها كلها هو الطالب وهو الذي يبذل جهده في ارضاء التي يحبها حتى اصبحت ذكور الحيوانات على توالي الازمان اجمل من اناثها وهذا ما يدعوه علماء الحيوان بالانتخاب الجنسي لان الذكر لما كان هو الذي يطلب الانثى كان يميل بطبيعتهِ الى تحبيبها بهِ وهي لا ترضى بطالب دون آخر الاَّ اذا رأت فيهِ الافضلية فيبقى النسل الانسب ونتج عن ذلك بتوالي الدهور اختصاص الجمال في الحيوانات بالذكور وامثلة ذلك كثيرة نشاهدها كل يوم - انظر الى ذكور الطيور فانها اجمل من اناثهِ كثيرًا اين جمال الديك من الدجاجة والطاووس من الطاووسة مثلاً وهكذا في الحيوانات الاخرى فان الحصان اجمل من الحجر والاسد اجمل من اللبوة كثيرًا وقس عليهِ انواع الكلب والهر وغيرها مما لا مشاحة فيهِ

والانسان لا يخرج من هذه الحيثية عن هذا الاعتبار والرجل بالقياس الطبيعي اجمل من المرأة وقد كان الجمال وحده كافيًا لارضائها في اوائل احوال الانسان ثم أخذت مرضاتها تتنوَّع وتتفرَّع عند كل جماعة باختلاف احوالهم واخلاقهم فالبدوية ترضي بطالبها اذا كان شجاعًا مقدامًا في ساحة القتال محباً للغزو كريم النفس حسن الضيافة . والحضرية قد تميل خصوصًا الى من كان متصفًا باوصاف الحضارة من الغنى وحسن الزي وربما فضلت بعضهن الغني واخرى العالم واخرى الشجاع واخرى غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر ولكن الرجل في كل ذلك مختار والمرأة مستشارة

أما المهر فسببهُ على ما نظن ان العوائد المشرقية ولا سيما العربية تقضي على البنات ان يكنَّ طوع والديهنَّ في امر الزواج فربما قبلت الفتاة الشاب ولم يقبل والدها بهِ فهي لا تستطيع الخروج عن رضائهِ فكان الشاب اذا احب ابنة يجتهد من جهة ان يحببها بهِ ومن جهة اخرى ان يرضي والديها

فيرضيها بما يراها ميالة اليه من اوصاف الرجال ويرضي والدها ببذل الاموال وهذا ما يدعونهٔ بالمهر . وهو وان اعطي الى الفتاة الا انهٔ جعل في الاصل لارضاء والدها لانها لا حاجة لها بالمال متى صارت زوجة ولا فائدة لها منهٔ لانهٔ ينتقل من جيب زوجها الى جيبها وهما واحد

هذه هي الطريقة الطبيعية في اختيار الزوجين اما الزوجة فلم تكن تجهل مقامها من رجلها لعلمها انهٔ لم ينلها الا لانهٔ اهل لها وقد بذل نفسهٔ وما لهٔ من اجلها وهو ايضاً كان يشعر بسلطانهِ عليها لعلمهِ بانها لم تقبل بهِ الا لما رأت فيهِ من الكفاية والافضلية على سواه ادبياً ومادياً

اما (الدوطة) وهي ما يبذلهُ الوالدون لتزويج بناتهم فعادة افرنجية نشأت في اوروبا وسببها على ما نظن معاناة اهل تلك البلاد في الاجيال المتأخرة الحروب المتواترة حتى قل الرجال بالنسبة للنساء ثم انغمس الباقون في الفواحش واباحة امر المومسات حتى اصبحوا لا يعبأ ون بامر الزواج لاستغنائهم عنهُ بما احلوه لانفسهم من الامور المحرمة فكسدت سوق البنات وبقي جانب منهن في بيوت والديهن حملاً ثقيلاً عليهم لما يقتضي لهن من بذل الاموال مع ما اخترعتهُ من ابواب النفقات في تحسين الازياء وانواع الزينة في سبيل ترغيب الشبان بهنَّ فاصبح والدوهن يشكون ثقل ذلك ويخشون الفقر فضلاً عما يلحق بهم من دواعي البلبال فاضطروا لتزويج بناتهم الى ترغيب الشبان بهن فصاروا يبذلون الدرهم والدينار في سبيل ذلك وربما كان ذلك قاصرًا في بادىء الرأي على جماعة قليلة ليس في بناتهم ما يؤهلن للزواج من الاوصاف اللازمة للمرأة فسدُّوا النقص ببعض الدريهمات ثم امتدت تلك العادة حتى جرى عليها اهل اوربا كافة

اما نحن فقد قضت علينا الايام ان نسير على خطوات اهل تلك البلاد ونقتدي بهم في اعمالهم شأن الضعيف مع القوي فاخذنا عنهم كثيرًا من العوائد الحسنة والقبيحة وفي جملتها هذه العادة

ولكنها ليست من العوائد الملائمة لنا لانها لم تنشأ بيننا ولا استلزمتها حالتنا ولكن قضى علينا الضعف ان نتخذها اقتداء بمنشئيها ولا يخفى على حضرات القراء ما كان لها من العواقب السيئة في سائر الاحوال فان شباننا (ولا نقول كلهم)

اصبحوا عالني الآمال بالاثراء بواسطة الزواج وقد يكون بعضهم من اصحاب المواهب التي لو استعملوها وثابروا على العمل بها لاغنتهم عن اموال الناس و ربما صاروا من الاغنياء ولكنهم يعلقون آمالهم منذ نعومة اظفارهم بنيل (الدوتة) ويقدرون مقدارها وربما تاهوا في عالم الخيال وجعلوا يحسبون مقدار ربحها لو تاجروا بها ويضيفون الربح الى رأس المال حتى يخيل لهم انهم اصبحوا من اصحاب الملايين فتكبر نفوسهم وتغل ايديهم عن العمل فينضون اثمن سني حياتهم في مثل هذه الاوهام فلا يفيقون من غفلتهم الا وهم على شفا جرف يكاد يذهب بآمالهم اذ يشعرون بخلو ايديهم وجيوبهم وبيوتهم واذا ارادوا عملاً لا يستطيعونه لما تعودوه من البطالة والكسل وهم كل سنة اقل املاً بنيل (الدوته) من السنة الماضية فيدركون سن الكهولة ويدركهم اليأس وهم لا يستطيعون الزواج لان اصحاب الدوته لا يعطونهم وهم لا يتزوجون بغير (دوتة) لقصر ذات يدهم عما تقتضيه الزيجة من النفقات والمهات فيعودون بصفقة المغبون وبما ربحت تجارتهم ولا كانوا مهتدين

وهب ان واحداً منهم بعد طول الانتظار تزوّج وقبض الدوته فماذا يعمل بها لا اظنه الاّ انه يقضي باقي عمره مثل ماضيه وهو خادم لآماله اسير التي ابتاعته بدرهمها على انه لو اراد عملاً او تجارة لا يستطيعها او ربما لا توافقه عليها هي لسبب يخطر لها وقد يخيل لهــا انها لم تأخذه الاّ ليقوم بواجب خدمتها واذا عصاها تتهدده بالحرمان وربما جمعت عليه الجيران واتهمته بالبلادة والكسل واستجارت بالله من مصيبتها وهي مصيبة باستجارتها لان من كان مثل زوجها خليق بالاحتقار والا ما رضي بالكسل والبطالة استناداً على مال الزواج هذا اذا لم تراع الزوجة سلطة رجلها عليها ولكنها مهما اغضت عن احتقاره فهو لا يستطيع الا احترامها والشعور بفضلها عليه فيخف لارضائها بكل ما في وسعه وهذا اكبر سبب من اسباب استبداد السيدات مع ما نشكو من امتهانهنّ وقد كان استبدادهنّ مقصوراً في مثل هؤلاء فعمّ الاكثرين الآن وصاروا ينظرون الى المرأة نظرهم الى شخص يستوجب احترامهم وهم يفعلون ذلك ويحملونه محمل اكرامهم لضعفها

ولا بد لنا قبل ختام الكلام في هذا الشأن من التصريح اننا نخطئ طالب الدوته اذا كان انما يريد الزواج لمجرد الاثراء بقطع النظر عن اخلاق الفتاة

ومنزلتها ونسبتها · ولا بد من التمييز بين الدوته وحق الارث فان بعض البنات يرثن من والديهن اموالاً طائلة وفي حق لمن ينلنه تزوّجن ام لم تتزوجن فاذا تزوّج شاب فتاة لحسن خصالها وكان لها مال بحق الارث من والديها او احد اقربائها بمقتضى الشرع فان ذلك المال لا يعد من قبيل الدوته اذ انهُ حق شرعي لها تنالهُ على اي حال ولكن الدوته المرادة هنا ما يشترط الشاب نيلهُ قبل عقد الاقتران كأنهُ يقول انا لا اقبل بفلانة الاَّ اذا اعطيتموني المقدار الفلاني من المال وقد لا يكون والدها مالكًا لذلك القدر وربما اضطر لتزويج ابنتهِ الى بيع عقارهِ او الاقتراض من احد بالربا فما شأنهُ اذ ذاك الاَّ شأن من استأجر خدمًا لابنتهِ باجرة كبيرة

وخلاصة القول ان متى يتزوّج فتاة لمجرد الحصول على مالها بقطع النظر عن خصالها فقد باع نفسهُ لها والتي تقبل بمن لم يطلبها الاَّ رغبة في مالها فقد قيدت نفسها بيدها وابتاعت البلاء بدرهمها · لان الرجل ان لم يكن راس امرأتهِ ورئيس اهل بيتهِ مجلبًا لرزقهِ بيدهِ فانهُ يكون بلاء على اهلهِ وقدوة سيئة لاولادهِ وحملاً ثقيلاً على عاتق ذوي قرابتهِ وصحبهِ والامرأة العاقلة لا تريد الرئاسة على رجلها ولا مفاضلتهُ في شيء بل تودُّ ان تكون تابعة لهُ مقتدية بهِ وان يكون هو مصدر فخرها ومحور افتخارها كما جعلهُ الله وكما نصت عليهِ الكتب المنزلة لا كما قادتنا اليهِ دواعي الحروب وعواقب الفحشاء

ومما تقدم يظهر سبب احتقارنا للسيدات واحترامنا اياهن في وقت واحد

هل الآداب بالطبع ام بالوضع [١]

حضرة مدير الهلال الفاضل

قرأت في العدد الثالث من مجلتكم الغرَّاء مقالة في « هل الآداب بالطبع ام بالوضع » ذهب فيها صاحبها الى الوجه السلبي مسندًا كلامهُ الى كتبة الافرنج

---

(١) وردت علينا هذه الرسالة في الشهر الغابر بعد اقفال باب المراسلات فاخرنا درجها الى هذا العدد

وآرائهم في هذا الموضوع واذ قد اباح لنا النظر في ما كتبهُ اشباعًا للقول انيت على تسطير هذه الكلمة لا اخرج فيها عن حد المعقول اذا جاوزت المقول ولا اطلب غير الاستفادة اذا لم احسن الافادة والله الموفق الى الصواب فاقول

ان جل ما كتبهُ حضرة صاحب الوجه السلبي ينحصر في هذه القضايا الثلاث (١) ان الانسان خلق مجرَّدًا عن كل مبداء أدبي اي اشبه بالعجماوات في جميع اطوارهِ واميالهِ الطبيعية (٢) انهُ اضطر الى المعاملة باسباب متنوّعة وبالمعاملة اضطر الى وضع الآداب (٣) ان هذه المعاني اي الآداب لم تكن تنطبع في الفكر البشري الاَّ على نسبة وقوع نقيضها وهو الشرّ فمذ عمّ هذا والفهُ الناس عمت تلك المعاني والفها العقل · فينتج عن كل هذا ان الآداب وضعية محضة بدليل تجرُّد الانسان في بدء وجوده عن كل مبداء ادبي واضطراره بعد المعاملة الى الآداب موضوعة على نسبة وقوع نقيضها · وفيهِ نظر لانهُ اذا سلمنا بوجود الانسان في البدء على هذه الحالة اعني مماثلاً للعجماوات على الاطلاق لزم التسليم بذلك في الحالة الحاضرة لانهُ من الضرورة على حكم الترقي ان يتبع الواحد الآخر في ارتقائهِ طالما قلنا بمطلق التشابه بينهما والتسليم بذلك في الحالة الحاضرة غير ممكن لما لا يخفى من بعد التفاوت بين الجنسين فالتسليم بهِ في الحالة الاولى غير ممكن ايضًا · واي دليل لنا على وجود الانسان في اول عهده مجرَّدًا عن كل مبداء ادبي اشبه بالعجماوات ونحن نرى ما بين الاثنين من التفاوت · فما الذي صدَّهُ عن مرافقتهِ في نشوئهِ اذا كان اشبه بها فان للحيوان نفس الاميال الطبيعية التي للانسان من الجوع والخوف والراحة والضعف وغير ذلك ووسائل المخاطبة والتفاهم حاصلة عند افراد كل منها · بل ما الذي مهد للانسان سبيل الترقي عن الحيوان الاعجم بمراحل يستحيل عليهِ مجازها اذا كان في عهد وجوده على شاكلتهِ · فلا ريب ان هنالك قوة خاصة مميزًا بها عن غيره وهي التي رقتهُ بما فيها من الاستعداد — وهذا ما فات حضرة الكاتب ذكرهُ مع ان العبرة بهِ — وما عساها ان تكون تلك القوَّة سوى العقل الانساني الذي فطر عليهِ والعقل مجتمع للعواطف والعواطف منشأ الآداب · فما قالهُ حضرة الكاتب من انهُ (لم يكن يمر بنفسهِ شيء من العواطف الادبية لعدم اضطرارهِ الى تصوُّرها)

مأخذ للاعتراض لانهُ كما اشرنا خلق ذا عقل والعقل مجتمع العواطف فالعواطف كانت فيهِ بالطبع غير انهُ لم يكن يمر بنفسهِ شيء يؤثر في تلك العواطف الادبية حتى ينبهها فلم يضطر الى تصوُّرها والعلم بوجودها فيهِ فظلت كامنة كمون النار في الزناد حتى أُتيح لهُ الاجتماع فنبهت حالة المعاملة مشاعرهُ اذ ذاك فادرك وجودها فيهِ واضطرته الاحوال اليها في التصرُّف والمعيشة فابرزها الى الفعل فالمعاملة اكملت صورة الآداب لاوجدتها لانها اي الآداب لو لم تكن مطبوعة فيهِ بالاستعداد لما كان اهلاً لان يدرك اسرارها ولما تسنى لهُ هذا الترقي مهما كانت معاملتهُ فلا تكون اذاً وضعية والطبع مصدرها . فلو اخذنا مثلاً ولداً حديث النشأة ووضعناهُ في قفر آهل بالوحش لا تطأ تربه قدم انسان لشبَّ وشاخ وجاز مراحل العمر أبكم لا يوفَّقُ الى النطق ولكن لو اتينا بهِ حيناً من الزمن الى عالمهِ الاصلي لظهرت فيهِ هذه الخاصة شيئاً فشيئاً حتى يصل الى اتقانها اخيرًا . افنقول هنا ان النطق كسبي لمجرَّد تعذره على ذلك المرء عهد اعتزالهِ المعاملة البشرية وانقطاعهِ عنها . فاذا كان هذا فلمَ لا يصل اليهِ الحيوان الاعجم مع طول مخالطتهِ للانسان . ذلك ما يدلُّ على ان في المرء استعداداً ليس في ذاك فهذا الاستعداد المطبوع فيهِ لولا المعاملة ما ظهر فعلهُ وكذا المعاملة فلولا اباه ما افادت الولد شيئاً فالفضل هنا في اظهار النطق مشترك بين الاثنين ولكن نسبتهُ الى كونهِ بالطبع اولى لانهُ اقدم وافضل فلولا الطبع لم يكن وضع وهذا امر اوَّلي — وهكذا القول في الآداب فلولم تدعها ضرورة المعاملة لظلت كامنة في نفس الانسان ولولا استعداده لها بالعواطف الاصلية لما نفعت ضرورة المعاملة ففضل كلا الاستعداد والمعاملة واحد في اظهار الآداب فالافضل اذاً ان نقول بها طبعية لا وضعية لان الوضع صفة طارئة وهيئة عارضة فنسبتها الى الاصل اظهر . ولانهُ يفهم بلا ريب ان للوضع دخلاً في اظهارها اذ انها تترقى دائماً مع ترقي الطبع بالمعاملة بخلاف ما لو جعلناها وضعية اذ لا يفهم منها الا اكتسابية محضة لا دخل للطبع فيها وهذا تحكم لا يحسن عند البصير

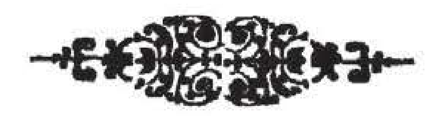
وكذاك النقيض فقد كتب مونتسكيو ما مفادهُ « انهُ لا بدَّ للبشر من العدوان بدء اجتماعهم لما يستشعرهُ كل من القوَّة بنفسهِ والغيرة على صالحهِ والميل

الى الرئاسة وحب الذات الخ » فهذه العواطف التي نبهت روح الشرّ والعدوان هي بالطبع في الانسان ولكن المعاملة نبهتها فيه قبل الآداب لان الشرّ اغلب على الطبع والنفس امّارة بالسوء فلما احسّ بسلطتها عليه وفعلها به تنبهت مشاعره بما فيه من الاستعداد الى شيء يعترضها ويضادها في الآداب فلو كانت هذه بالوضع اضطرارًا لما بقي لدينا اثر لبعض الافريقيين ممن اعرقوا في الهمجية اذ تضطرّهم معاملتهم الشريرة الى وضعها كبحًا لجماح انفسهم ودفعًا في صدور فتنهم كما اضطرّت غيرهم (على زعمه) غير انه لوجودها بالطبع بالاستعداد لم يؤتَ اليها هؤلاء لغلبة طبع الشر فيهم عليها ولهذا يعقب مونتسكيو جملته بقوله (فاضطرّ العقلاء منهم الى وضع الشرائع الخ » لان الاستعداد للشرّ كان خفيًا في هؤلاء اي العقلاء فتغلبت العواطف الادبية فيهم اخيرًا واستكملت معداتها بالظهور

ولو مضى حضرة الكاتب في المسألة على آخرها واتى على جمع اطرافها بايضاح وافٍ لظهر لديه افضلية القول بالوجه الايجابي على ما بيّنا . وهنا تناقض في كلامه اشير اليه قبل انهاء هذه الكلمة فقد قال (فالمرء يكون ساذجًا فطريًا يلتمس الغذاء والمبيت وسائر الحاجات الطبيعية مما تصل يد امكانه اليه ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع الخ » فكيف يفهم معنى الحرص على الذات من كان في هذه الحالة البسيطة من البداوة ام كيف يدرك كنه هذه الحكمة من كان اشبه بالعجماوات — اما كلام مونتسكيو وغيره في هذا الصدد فهو ان مجرّد اللذة وليس الحرص على الذات ما دفعه الى ما نتج عنه بقاء النوع بلا تعهد منه او سابق علم وهذا الاظهر .

هذا ما اراه مع العلم بعجزي ولاهل النظر رأيهم في تمحيص المسألة مما يكاشفنا اسرار هذه الحقيقة المشتبهة باجلى وضوح كاتبه

بيروت نقولا فياض



﴿ أتتوقف تربية الاولاد على الوالدات اكثر مما على الوالدين ﴾

حضرة الفاضل صاحب الهلال الزاهر

لقد اسعدني الحظ بالوقوف على اعداد هلالكم الاغر وبينما كنت اجيل الطرف في رياض الاربضة الغناء عثرت في احد ابوابه على جدول يشتمل على عدد عديد من المواضيع والمباحث العلمية والادبية الخليقة بالبحث والحقيقة بالمناظرة ولقد كنت اودُّ ان اطلق العنان للقلم حتى يمرح في ربوعها الشاسعة الاطراف لولا ان كثرة الاشغال حالت دون ذلك . على اني قد انتهزت الآن فرصة الامكان لخوض تلك العباب وان كانت يدي عن ذلك قصيرة ولكن لي في همة حضرات القراء النبلاء اكبر محرّك الاقدام وما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

هذا ولقد عنَّ لي ان افتتح ابواب المناظرة بالموضوع الثالث من هاتيك المواضيع وهو « هل تتوقف تربية الاولاد على الوالدات اكثر مما على الوالدين » فأقول

لا ريب ان الدلائل العقلية والشواهد النقلية تنبئنا نباء صريحًا واضحًا . بان الانسان لم يوجد في عالم الوجود ليهيم كالبهائم مضارعًا اياها في جميع حركاتها وسكناتها على حد قول القائل

تبا لمن يمسي ويصبح لاهيًا ومرامهُ المأكول والمشروب

بل ليفيد ويستفيد فيقضي سني حياته في نفع نفسهِ والهيئة الاجتماعية التي هو فرد من افرادها . ويسعى على الخصوص في خدمة وطنهِ ومسقط رأسهِ ومنبت شعبتهِ الذي يتمتع بطيب هوائهِ وعذب مائهِ . ولا يخفى ان الانسان من تلقاء نفسهِ قاصرٌ كل القصور عن تأدية مهام نفسهِ فضلاً عن مهام غيره فهو مضطر للاجتماع والاجتماع بنفسهِ لا يكفي لمزاولة هـذا الواجب العمومي . ولذا ترى ان الهيئة الاجتماعية وجهت انظارها وبذلت قصارى جهدها للقيام بامر التربية قيامًا يضمن حسن الاستقبال فطفقوا يؤسسون المدارس ليتناول من علمها العام والخاص

ولكن التربية التي هي من هذا القبيل « اعني التربية العلمية المدرسية » لا يجم عنها كبير منفعة ما لم يلج المربي ابواب المدرسة الاولى اعني بها المدرسة الامية

قلت المدرسة الامية « ولم اقل الابوية او الوالدية » لاني اعتقد يقينًا ان الوالدة هي المنوطة بهذه التربية اكثر من غيرها ان لم اقل دون سواها

وهنا يجمل بي ان اذكر تقسيم الحكماء للمدارس فهي عندهم ثلاث . اولها . المدرسة الامية وثانيها المدرسة المكتبية وثالثها المدرسة الزمنية ولكن للمدرسة الاولى تأثيرًا على العقل كبيرًا لا يمحوه مرور الايام واختلاف الاحوال لان التربية الامية تكون على صغر فهي اثبت وارسخ على حد قول القائل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ومن الامور المقررة ان الملازم للطفل في ذاك الوقت ان هي الاَّ والدته لان اهتمام والده باشغاله الضرورية ومكاسبه المعاشية يعيقه عن ملازمة ابنه اناء الليل واطراف النهار فهو لا يراه الاَّ صباحًا ومساء وقد لا يتمكن من رؤيته الاَّ نادرًا . وهذه حقيقة ثابتة يؤيدها العقل و يعززها الاختبار ولا لوم على الاب في ذلك لانه في شاغل من الاهتمام في اسباب التعيش للقيام باود عائلته . لان تحصيل الغذاء والكساء من اهم الضروريات

ناهيك عما للام من رقة الجانب وسهولة الطبع وسرعة التأثر فتسلك مع اولادها طريق الرفق واللين والمسالمة وهي اوصاف تمتاز بها المرأة عن الرجل (اعني الوالدة عن الوالد) لان الوالد مهما كان هو عليه من دماثة الاخلاق ولين العريكة فهو متصف في الغالب بالقساوة وسرعة الغضب لان تعاظم الاعمال يورثه سرعة الضجر ومن كانت هذه صفاته فالقساوة أقرب اليه من حبل الوريد

وحيث ان الوالد لابد له من مزاولة مهنة من المهن فانكبابه عليها لا يتيح له من الجهة الواحدة ملازمة اولاده حتى يربيهم ويهذبهم ويورثه من الجهة الاخرى (ضيق الخلق) والقساوة فهو اذًا غير قادر على القيام بهذه المهام خير قيام

وما دامت الام هي المنوطة بهذه التربية فلها الفضل الاول وعليها دائمًا المعول والسلام

القاهرة توفيق عزوز

خوجه بمدرسة الاقتصاد

واحد محرري جريدة الفرائد بمصر

رواية الامير مراد

حضرة منشيء الهلال الامثل

ايها الصديق الفاضل : قرظت روايتي الانكليزية (الامير مراد) في الجزء الرابع من الهلال الاغر فاستحققت شكري . وانتقدتها فاستوجبت ثنائي . كيف لا وقد نبهتني الى بعض ما فرط مني سهوًا بعبارة تشف عن حسن المبدإ وقويم المنهج فعسى ان يقتدي بمثال انتقادك الادبي اولائك من كتابنا الذين اذا أمسكوا القلم منتقدين شجوا به وهشموا وجرحوا الحواس والمخ . فتضيع الفائدة المطلوبة وينقلب الموضوع الى الضد

بيد ان معظم انتقادك التاريخي ايها الصديق يكفيني عذرًا عليه اقتباس قولك « على ان هذه الملاحظات وان تعددت يجمعها قولنا ان حوادث الرواية اقرب الينا من الزمن الذي عينه حضرته (المؤلف) لحدوثها الخ » اذ انه وقع سهو في طبع لفظة « وسط » بدلاً من لفظة « آخر » الجيل الماضي وهو زمنٌ تتفق عوائده مع اوائل الجيل الحاضر

اما ما انكرته على جميلة من امكان معرفتها بان الطعام الثقيل قد ينجم عنه احلام مزعجة فاني لا ارى له موجبًا والاّ للزم انكار نباهة واختبار ومعرفة جميع من عاصروها او تقدموها من هذا القبيل وان تعليلاً من مثل الذي ابدته جميلة يكفي لمعرفته الملاحظة والاختبار في كل ابن وآن . ويتمشى على ذلك استغراب حضرتك وجود اطباء في ذلك العصر يشاطرون المغاربة مهنتهم على حين لا يخفى عليك ان كل من فاق اختبارًا في ذلك الوقت كان يلتجأ اليه لتخفيف الآلام وشفاء السقام ويسمى حكيماً وان تكن معرفته قاصرة على الفصد والكي ووصف « اللبخ » والمعرقات وما ماثل ذلك كما تبين لك جليًا من سياق حديث الامير مراد مع الاب روحانا

اما خاتمة ملاحظاتك وهي قولك « وفيما خلا ذلك فقد يرى المطالع ان في ربط حوادث الرواية بعض التكلف الخ » فانها كانت تحدو بي الى الاستفهام عن مواضع التكلف في تعليق الحوادث بعضها ببعض لو لم تكن سبقت فصرحت في

مقدمة تقريظك انها اي الرواية مشوقة للمطالعة لغرابة وقائعها وتناسق حوادثها فاكتفيت بذلك

هذا واني لا يسعني الا الاقرار بفضلك على ما نبهتني اليهِ من مواضع النقد وحبذا لو جاد عليَّ بعض محبي كشف الحقائق بما عندهم من الانتقاد العام على ما يرونهُ في غير محلهِ من روايتي هذه فاكون لهم من الشاكرين

(القاهرة) صديقكم المخلص

خليل سعد

(الهلال) نثني على حضرة صديقنا المؤلف ثناء جميلاً لانهُ قبل ملاحظاتنا على روايتهِ باخلاص ونشكرهُ على حسن ظنهِ بنا ولكن يسوءنا ان يرد انتقادنا بعذر ربما كان اقبح من ذنب لان ابدال كلمة «وسط» بكلمة «اخر» لا تنجي حضرتهُ ولا من غلطة واحدة اذ ان احوال سوريا في اواسط القرن الماضي واواخرهِ حتى وفي اوائل هذا القرن ايضاً تكاد تكون واحدة تماماً وقد قدمنا في انتقادنا في العدد الماضي ان مدارس البنات لم تنشأ في سوريا قبل سنة ١٨٦٠ والطربوش الاحمر والطرة الزرقاء لم تدخل بلادنا الا في اوائل هذا القرن وكانوا مع ذلك يلبسونها تحت العمامة اما لبس الطربوش بغير العمامة فلم يكن الا بعد دخول ابراهيم باشا سوريا فمن اين اتى بها حضرة المؤلف في اواخر القرن الماضي

وقد قلنا ان الريال المجيدي لم يضرب الا في زمن السلطان عبد المجيد في اواسط هذا القرن واما المعاملة الى اوائل هذا القرن فكانت بالمحبوب والمكوبن والبارة والقرش والكيس · ولا تكون حوادث الرواية ضمن الامكان الا اذا فرض حدوثها في اواسط هذا القرن او ما بعدهُ

اما قولنا «ان الرواية متناسقة الحوادث» فلا يمنع ان يكون «في ربط حوادثها بعض التكلف» ولولا ضيق المقام لاتيناه بتفصيل ذلك وايضاحهِ حتى لا يبقى مكان لديهِ للاعتراض ولكنا نترك ذلك لمن يطالع الرواية فيحكم لنفسهِ

وقد اعجبنا من حضرتهِ رغبتهِ في استماع الانتقاد عليهِ وذلك دليل على تعقلهِ وحسن تبصرهِ وقد قيل اذا كان المنتقد عاملاً فالمقر بغلطهِ اعقل